

«كزهر اللوز أو أبعده» ديوان جديد لمحمود درويش...

شاعر الذات القلقة يصنع تاريخاً آخر في اللغة (٢٠١)



بين الكلام وبين الإشارة» ص (١٨٤) والقاسم المشترك في هذا التناغم هو الاستعارة، التي تتحول طريقة للعيش بين تقيضين، بمعنيها الظاهري والمجازي، فالشاعر المقطع من تاريخه، يصنع تاريخاً آخر في اللغة، والذات المقطعة من العالم، تصنع وجوداً آخر بواسطة الاستعارة؛ والاستعارة منفى

بجملة: «قال لي صاحبي، والضباب كثيفٌ على الجسر...» (ص ١٢٩) ليتناوب الفعلان الماضيان «قال» و«قلت» تتناوباً جديلاً في حياكة السرد الشعري، من البداية حتى النهاية، في تبادل ملحوظ للأدوار، حيث «أنا اثنان في واحد» أو «واحد يتشظى إلى اثنين». (ص ١٣٩). قد يكون هذا الدليل، الذي يلعب دور المؤل للحظة تاريخية ووجودية، بمثابة «الأنا» بإطلاق، لأنه عين الشاعر التي ترى وتنتبأ وتستشرف، وقد يكون ظلاً لأننا مرتحلة، مهاجرة في الزمان والمكان: «أمشي الهويني على نفسي ويتبعني/ ظلي وأتبعه، لا شيء يرجعني/ لا شيء يرجعني». (ص ١٦٠). وقد يكون هذا الدليل العرّاف «أنت... المنسي في المقهى/ لا أحد يحقّق في حضورك أو غيابك». (ص ٢٥)، وقد يكون «هو»، المستسلم لعزله، حيث «لم ينتظر أحداً/ ولم يشعر بنقص في الوجود». (ص ٣٣)، وقد يكون «أنا» المقطع عن «أناي»، و«لم أجد شبيهاً في المرايا. ففكرت/ أين أنا». (ص ٦١)، وقد يكون إيقاع مستحيل، تولد من المجاز، وتضيق فيه: «وأنت معي، لا أقول: هنا الآن/ نحن معاً. بل أقول: أنا، أنت، / والأبدية نسبحُ في لا مكان». (ص ٩٧).

بمثابة تنويج فلسفي وغنائي لرحلة الأنا التي تبدأ في قصائد قصيرة، متقطعة، مكثفة، ثم تستمر في القصائد الطويلة، في شكل استرسال داخلي شجي، تنفطر الذات من خلاله إلى أصوات عدّة. هذا الانفطار يصل حدّه الأقصى، في القصيدة الأخيرة «طباقي»، وهي مرثية غنائية طويلة، إلى الراحل إدوارد سعيد، تقوم على حوار الأنا والآخر، وتبادل الأدوار بينهما.

وليس مفاجئاً أن يبدأ الديوان وينتهي بهذا التبادل الحرّ بين الأنا والآخر، إذ يحتّم الحوار طوراً، ويصل درجة من التوتر، خصوصاً حين يكون الآخر «عوا»، ويخفّ طوراً آخر، حين يصير الآخر امتداداً طبيعياً للأنا، في تناغم أو صراع التقيضين. في القصيدة الأولى (فكر بغيرك)، ثمة شرارات تتطلق إلى القصيدة الأخيرة «طباقي»، وكأنّ درس سعيد، المهاجر المقيم في اللغة والثقافة، مبيوث في كل أنحاء الكتاب، ويبدأ في الدعوة إلى تحرير الذات «بالاستعارات» (ص ١٧) ما يقود المتكلم في قصيدة (طباقي) إلى الدعوة لتحرّر من الأطر الجاهزة، والهروب من تسميط الهوية: «لا أعزّف نفسي تماماً/ لنلا أضيّعها. وأنا ما أنا/ وأنا آخري في ثنائية/ تتناغم

تهض الرؤيا الشعرية في قصائد محمود درويش الأخيرة على مركزات كلاسيكية وحداثية، وتفرّد انتباهاً خاصاً لعناصر قصيدة النثر، عبر استنطاق إيقاعاتها وتفاعيلها، وتشبيد معمار شعري يتصف بالرصانة الغنائية، من جهة، وبالمرونة والانفتاح على مكونات درامية وسردية، من جهة أخرى. وتستند رؤيا الشاعر الكلية إلى مكونات وجودية ونفسية وبلاغية، يعزّزها شعور عميق بالاعتراب، والانكفاء باتجاه الذات وتفضاتها الكثيرة. في ديوانه الجديد «كزهر اللوز أو أبعده» الصادر عن دار رياض الريس (٢٠٠٥)، وفي البعد الظاهري الشكلي، تتقلب ذات المتكلم بين أصوات شعرية أربعة، يسمّيها الشاعر بالترتيب «أنت»، «هو»، «أنا»، «هي»، في حركة شعرية أولى، تندرج تحتها قصائد فرعية، تحلّل النصف الأول من الديوان، تتبعها حركة شعرية ثانية، تمثل، موسيقياً، جواباً لقرار، وتتلخّص في قصائد طويلة أربع، تحمل كل منها عنواناً رئيساً هو «منفى»، وهي تحلّل القسم الثاني من الديوان. وكان الحركة الأولى، بتتويجها الأربع، وقصائدها المتفرّعة، هي محاولة لقراءة الذات من زوايا متعددة، تتبعها حيرة وجودية ومعرفية، تشعّ من مرآة إلى مرآة، في قصائد القسم الثاني. وتأتي الحركة الثانية

رهيب، بلا ريب، في ظل غياب «وطن» الشاعر. والمفارقة تكمن في الهروب من الاستعارة بالاستعارة، كالتحرّر من الوطن بالوطن، أو من المنفى بالمنفى، ليصبح التوتر، لا شرط وجود الذات في العالم. لكنّ درويش يحقن ملياً في هوة عميقة، تفصل الذات عن الآخر، وتفصل الأنا عن شروط كينونتها، فتكرّر لحظات الانشطار، وينكفئ الصوت الشعري نحو الداخل، محوراً أصواته المتعددة، في رحلة البحث عن معنى الذات: «هل كان ذلك الذي كنته هو؟ أم كان ذلك الذي لم أكنه - أنا؟». «الأرض الخراب». والقصيدة تبدأ

كفاك إتكالاً

تفاني أيها النشمي فالوقت مسارع
لا تقل لي إني في بيتي أصارع
لا تقل إني عن الحق مدافع
فالحق يحتاج أناساً.. بالموانع
لا تدور عن ذرائع
فأنا الآن أمانع..
أن تقضي عمرك في أكل الكوارع
وغيرك مستلقي الشوارع
غيرك تحت التراب بات مانع
أو بات ضائع.. أسطة بين الألف الصوانع
ساكرز التكبير بأن الوقت مسارع
ساكرز التحذير من سرد الذرائع
حيث باتت كوارع..
كلها باتت كوارع..

زينب قاسم
٢٠٠٤/١٠/١٥

زملاني الاعزاء ...

نشكر مساهماتكم ونرجو
التواصل معنا على البريد
الإلكتروني:
idyf51@yahoo.com
او الاتصال بالنقال:
٠٧٩٠٢٢٨٣٥٤٦
٠٧٨٠١٦١٤٢٩٢

فردوس مؤجلة

هلمتي فانت جنتي..
فطالما سكنت عمري على ضفة
الانتظار
زنترت دفاتر شعري على مروجك
المفرورة
سادلو بعيني.. لانهل من أنهار خمرك
اغسل رموشي المخضبة بغيار نسيانك
ولطالما ارتضعت املاً بمهدي
ولم تقو صحوتي على فطامي
فانت جنتي.. لكنك مؤجلة..
اجالس ملائكتك.. أجبرها يوماً على
حمل رفاتي
على اجنحتها.. عندها لن أرضى يوماً
الا بسرير أبدي
على سفوحك.. لا.. لا انها محض أوهام
صارت أقرب
للخيال ونات بعيداً عن العيون..
ولازلت في الضفة الأخرى.. ارقب من
بعيد انتصاب
نخلتك متكنة على جذور تمتص دمي
لتحيا جبروتا
وربيع تصيره ألهتك خريفاً صاخباً
اضطربت امنياتي وارتجفت ابيات
شعري
والقت بقوفيهها في بحر جنون..
سامت حتى قلّمي.. لانه سخر مني حين
رأني مستلقياً
بين نفثات العرافين..

عدي حاتم

(الالهة الجديدة)

عندما يستفيق الالم
ويتنائب الجرح
تخلع الشمس ثيابها
وينبعث اوركا جينيا بعصر جديد
والهة جديدة
تأمرونا بايقاد اعصابنا
واطفاء النور
ها قد كنا انتهيينا
من آخر موت مجاني
لندخل بموت سرطاني آخر
فنحن المنتمون الى الملح
والطين
وأخر حفصة تمر
الباكون لمامر مرفل
وحاضر أحول
تصرخ بأعلى صوت صامت
" أيتها الالهة الجديدة "
" ايتها القريبة البعيدة "
لا زال في أسفل الوادي
نتة مورقة
وصرخة مقلقة
فإحذري ايتها الالهة من كفر
العباد
فالفرج آت لا محال
تحرير الاسدي



ركن كلمات اغنيا

اعداد: واثق عبد ربح

شيرين - لازم أعيش

كلمات: نصر محروس

لحن: محمد يحيى

توزيع: أمير محروس

واحضن نفسي وأمشي بعيد
أيوه حطيبٌ كرحي أكيد
عايزه كرحك ينحرك مني..
ولازم ينسى ولازم أعيش
الي زمانني حيعيشو معاك
لما بتبعد بستناك
كنت بعيني كل الدنيا
ولازم ينسى ولازم أعيش

عايزة الملم ألبى
عايزة أطيّب كرحي
عايزة حبك يبعد عني
لازم أعلم ألبى أنا ينسى
كنت بعيشك كل سنيني
كنت بحبك أوي يحببي
كنت بحس معاك حاكة ثانية
لازم أعلم ألبى أن ينسى